الجزء الأول

ما يقول
الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى
عن محمد ﷺ

obeikandl.com

الفصل الأول

المقابلة الهامة الأولى

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ[1] عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠].

السيد الرئيس؛ السيدات؛ والسادة[2]:

إن موضوع هذا المساء وهو: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد ﷺ، سوف يكون مفاجئاً للكثير منكم، فكيف يمكن لشخص مسلم أن يكون مؤهلاً لأن يشرح النبوءات الواردة في أسفار اليهود والنصارى؟

عندما كنت شاباً منذ حوالي ٣٠ عاماً استمعت إلى سلسلة من المحاضرات لعالم الدين المسيحي القس (هايتن Rev. Hiten) في قاعة المسرح الملكي في دوربان.

البابا أم كيسنجر؟

وقد أسهب القس وقتئذ بشرح نبوءات الكتاب المقدس لدرجة أنه أراد أن يبرهن أن الكتاب المقدس تنبأ بظهور الاتحاد السوفيتي وتنبأ عن نهاية العالم وتنبأ عن البابا. وكان يشرح بحيوية واندفاع محاولاً إقناع الحضور أن (الوحش ٦٦٦)[3] المذكور في سفر الرؤيا (وهو الكتاب الأخير من العهد الجديد) هو البابا نفسه نائب المسيح على

---

(١) الإشارة إلى النبي موسى عليه السلام، انظر «ترجمة معاني القرآن الكريم» للعلامة عبد الله يوسف علي، الملاحظة رقم ٤٧٨٣ ورقم ٤٧٨٤، يطلب من المركز العالمي للدعوة الإسلامية في دوربان بجنوب إفريقية.

(٢) نص محاضرة ألقاها المؤلف في أوائل السبعينات.

(٣) يعطي المفسرون النصارى قيماً عددية للأبجدية اللاتينية تزداد بالعدد ٦ لكل حرف من الحروف ثم يجمعون قيم الحروف في الكلمة الواحدة للحصول على مجموع ٦٦٦ مثلاً.. A=6,B=12,C=18,D=24 ..إلخ. لأن رقم الوحش في الكتاب المقدس هو ٦٦٦، حاول الحصول على المجموع لكلمة: Dr. Kissinger.

الأرض، ومع أنه ليس من المناسب لنا كمسلمين أن ندخل في مثل هذا النقاش بين الروم الكاثوليك والبروتستانت غير أنني أذكر أن آخر ما توصل إليه علماء النصارى أن الدكتور كيسنجر هو الوحش (٦٦٦) المذكور في كتابهم!

وقد حدت بي محاضرات القس هايتن أن أتساءل طالما أن الكتاب المقدس قد تنبأ بكل هذه التفاصيل بما فيها البابا وإسرائيل.. إلخ. فلا بد أنه تنبأ أيضاً عن أعظم من أفاد البشرية وهو النبي محمد ﷺ [١]، وقد دأبت في البحث عن جواب لذلك فقابلت العديد من القسس واستمعت إلى محاضراتهم وقرأت كل ما استطعت الحصول عليه من نبوءات الكتاب المقدس، ومن ذلك سوف أسرد لكم كيف تمت إحدى مقابلاتي مع قسيس من كنيسة الإصلاح الهولندية Dutch Reformed Church.

الرقم المحظوظ ١٣

دعيت إلى الترانسفال (إحدى مقاطعات جنوب أفريقيا) لإلقاء كلمة، ولما كانت اللغة الأفريقانية هي الأكثر انتشاراً في الترانسفال، حتى بين قومي، فقد رأيت أن أتدرب على استخدامها سلفاً لكي أشعر بالألفة بينهم ولذا فتحت دليل الهاتف على أسماء الكنائس التي تستخدم الأفريقانية وبدأت مخابرة قسس الكنائس واحداً تلو الآخر مبدياً رغبتي في إجراء حوار، وقد توالى الرفض منهم لأعذار مختلفة، وأخيراً وفي المخابرة الثالثة عشرة أبدى لي القس (فان هيردن Rev. Van Heerden) موافقته على مقابلتي في منزله بعد ظهر اليوم الذي كان مقرراً لسفري إلى الترانسفال، وقد استقبلني يومئذ بترحاب واستأذن في أن يحضر نقاشنا والد زوجته البالغ ٧٠ عاماً من العمر وجلسنا ثلاثتنا في مكتبه.

---

(١) كان الكاتب قدم كلمة عن هذا الموضوع بعنوان (محمد أعظم البشر) في قاعة البلدية بمدينة دوربان يوم ١٠ ديسمبر ١٩٧٥ ويوزع المركز نسخاً منها دون مقابل.

لماذا لا شيء؟

افتتحت الحديث بتوجيه السؤال التالي: ماذا يقول الكتاب المقدس عن محمد؟ وعلى الفور جاء الجواب منه: لا شيء. فقلت لماذا لا شيء؟ طالما تقولون إن الكتاب المقدس تنبأ عن ظهور الاتحاد السوفييتي والبابا وعن نهاية العالم! فأجاب: نعم ولكن لم يرد شيء عن محمد. فكررت السؤال: كيف لا شيء؟ إن هذا الرجل -محمد- الذي نشأت نتيجة رسالته أمة كبرى من ملايين المؤمنين الذين يصدقون:

١- بالميلاد المعجز لعيسى.

٢- بأن عيسى هو المسيح[١].

٣- وأنه أحيا الموتى بإذن الله، وشفى الأعمى والأبرص -بإذن الله-.

لابد أن الكتاب المقدس قد ذكر شيئاً عن هذا الرجل العظيم ورسالته التي أنصفت عيسى ووالدته مريم عليهما صلوات الله وسلامه، فأجابني: «يا بني، إنني أقرأ الكتاب المقدس منذ خمسين عاماً ولو كان فيه أي ذكر عن محمد لعرفت ذلك».

ليس مذكوراً بالاسم!

سألته إنكم تقولون بوجود مئات النبوءات عن عيسى في العهد القديم، فقال: بل ألوف النبوءات، فقلت: إني لن أناقش عددها سواء كانت بالمئات أو الألوف لأن مئات الملايين من المسلمين يؤمنون بعيسى المسيح ويحبونه ويجلّونه دون الحاجة إلى شهادة الكتاب المقدس أو إلى إقناع من طرفكم، ولكن من بين ألوف النبوءات التي تشير إليها هل تستطيع أن تذكر لي واحدة منها تذكر عيسى بالاسم؟ إنّ المسيح ليس

(١) تشتق كلمة المسيح من الكلمة العربية أو العبرية «مسح» ويذكر الكتاب المقدس أن الكهنة والملوك كانوا يمسحون بالزيت عند تنصيبهم، حتى أن قورش الوثني دعي مسيحاً في الكتاب المقدس (أشعيا ٤٥/ ١)!

اسماً بل لقباً فهل من نبوءة واحدة تقول إن المسيح سوف يكون اسمه عيسى وإن أمه مريم وإنه سوف يولد في زمن الملك هيرودوس؟ لا يوجد أي بيان لذلك فكيف يمكن الجزم بأن الوف النبوءات تلك تشير إليه؟

ماهو تعريف النبوءة؟

أجاب: ألا ترى أن النبوءات عبارة عن كتابة تصويرية لما سوف يحدث في المستقبل وأنها عندما تحدث نلاحظ بوضوح تحقق تلك النبوءة؟ فقلت: إنك تشير إلى استنتاجات منطقية عن تحقق النبوءات، وما دام الأمر كذلك فلماذا لا تقبل بنفس الأسلوب فيما يتعلق بمحمد؟[1] وقد وافقني بأن ذلك اقتراح عادل للإجابة عن تساؤلي.

طلبت منه أن يفتح الكتاب المقدس على سفر التثنية الفصل ١٨ فقرة ١٨ ثم قرأت له بالأفريقانية -لغة الطبقة الحاكمة بجنوب أفريقيا-:

(أقيم لهم نبياً، من وسط أخوتهم، مثلك، وأضع كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما آمره به) (التثنية ١٨/ ١٨).

نبي مثل موسى

وبعد أن قرأت النص بالأفريقانية اعتذرت للقس عن لكنتي ثم سألته: لمن يشير هذا النص؟ فأجاب بلا تردد: عيسى، فسألت: لماذا عيسى مع أن اسمه غير مذكور نصاً؟ فأجاب شارحاً: بما أن النبوءات هي صور كلامية لما سوف يحدث في المستقبل فمن الواضح أن هذه الكلمات تصف عيسى بصورة وافية إذ تقول (مثلك) أي أن عيسى

---

(١) ورد اسم (محمد) في سفر نشيد الانشاد ٥/ ١٩، حيث ذكر بالعبرية (محمديم) والحرفين الأخيرين (يم) يستعملان للجمع في حال التبجيل والتوقير، وقد ترجم بالانكليزية على أنه (الممدوح) أي (محمد) في النسخة المعتمدة من الكتاب المقدس Authorized Version.

سيكون مثل موسى! فسألته: من أي وجهة نظر يكون مثله؟ فقال: أولاً إن عيسى وموسى كلاهما يهودي، وثانياً إن عيسى وموسى كلاهما من الأنبياء، وهكذا فإنهما متشابهان تماماً وهو ما قصدته النبوءة. فقلت وهل هنالك وجوه أخرى للشبه بينهما؟ فقال: لا أذكر غيرهما، فقلت إذا كان الأمر على هذا النحو فهنالك العديد من أنبياء الكتاب المقدس الذين ظهروا بعد موسى ممن تنطبق عليهم النبوءة بهذين الوجهين من الشبه، من أمثال سليمان أو أشعيا وذي الكفل ودانيال وهوشع ويوئيل وملاخي ويحيى المعمدان وغيرهم، إذا كانوا كلهم من اليهود كما كانوا من الأنبياء! فلماذا لا تنطبق النبوءة على أحدهم بل تنطبق على عيسى وحده بالذات؟ فلم يجد القس جواباً، فتابعت قائلاً: إن ما أعرفه هو أن عيسى، على النقيض تماماً، لا يشبه موسى وأرجو أن تصحح كلامي إن كنت مخطئاً.

ثلاثة وجوه للخلاف

أولاً- إن عيسى لا يشبه موسى لأن عيسى كما تقولون هو إله في حين أن موسى ليس إلهاً، أليس كذلك؟ فأجاب بالإيجاب.

ثانياً- إنكم تقولون بأن عيسى مات ليفدي أخطاء العالم في حين أن موسى لم يمت لهذا السبب، هل هذا صحيح؟ فقال نعم، قلت إذاً إن عيسى لا يشبه موسى!

ثالثاً- إنكم تقولون بأن عيسى ذهب إلى الجحيم لمدة ثلاثة أيام في حين أن ذلك لا ينطبق على موسى؟ أليس صحيحاً؟ قال نعم، فقلت وهكذا فإن عيسى لايشبه موسى.

ثم قلت للقس: على أية حال إن هذه النقاط الثلاثة ليست يقينية فهي تستند على معتقدات ليس إلاّ، ولكن بإمكاننا أن نبحث نقاطاً غيرها من البساطة والحقيقة بحيث يصعب على أحد إنكارها، فلم يمانع من اقتراحي هذا بل رحّب بالفكرة.

obeikandl.com

الفصل الثاني

ثماني حجج لا تقبل الجدل

الأب والأم

١- ولد موسى عليه السلام من أب وأم، وكذلك ولد محمد ﷺ من أب وأم، في حين أن عيسى عليه السلام ولد من أم فقط، أليس ذلك صحيحاً؟ فأجاب نعم، فقلت إذاً إن عيسى لا يشبه موسى وإنما محمد هو الذي يشبه موسى.

الميلاد المعجز

٢- ولد كل من موسى ومحمد ﷺ بشكل طبيعي أي نتيجة جماع رجل وإمرأة، ولم يكن ذلك شأن عيسى عليه السلام حيث كان خلقه وميلاده معجزة. وفي ذلك يقول سفر متى (قبل أن يجتمعا -أي السيدة مريم ويوسف النجار- وجدت حبلى من الروح القدس) (متّى ١/ ١٨). وأيضاً يقول لنا سفر لوقا إنه عندما جاءت البشارة إلى مريم بولادة ابنها عيسى أجابت (كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً؟ فأجاب الملاك وقال لها، الروح القدس يحل عليك وقوة العلي تظلك) (لوقا ١/ ٣٥). أما القرآن الكريم فإنه يؤيد الميلاد المعجز للسيد بعبارات أنبل وأسمى بقوله تعالى ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾﴾[1]، إذ ليس من الضروري أن يزرع الله تعالى بذرة في الإنسان أو الحيوان وإنما يقول لما قضى كن فيكون[2]، هذا هو مفهوم المسلم لخلق عيسى ولا يحتاج الأمر لتشبيه أو تصوير دنيوي (وعندما قارنت النص القرآني مع

---

(١) سورة آل عمران، الآية ٤٧ .

(٢) انظر أيضاً القرآن الكريم (سورة آل عمران الآية ٤٢) و(سورة مريم الآية ١٦).

نصوص الكتاب المقدس التي تتحدث عن مولد السيد المسيح، وذلك خلال مناقشة مع القس دنكرز Rev. Dunkers رئيس جمعية الكتاب المقدس في أكبر مدننا وسألته: أي النصين تفضل أن تقرأ أمام ابنتك؟ النص القرآني أم نص الكتاب المقدس؟ أحنى الرجل رأسه وأجاب: النص القرآني)، وفي النهاية قلت للقس: ألا توافق أن ميلاد عيسى كان معجزاً بالمقارنة مع ميلاد كل من موسى ومحمد؟ فأجاب نعم. فقلت إذاً إن محمداً هو الذي يشبه موسى، في حين أن عيسى لا يشبه موسى.

روابط الزواج

٣- لقد تزوج كل من موسى ومحمد وأنجبا أولاداً في حين أن عيسى بقي عازباً طيلة حياته، وقد أيّد القس كلامي، فقلت له: إذاً إن محمداً يشبه موسى، وإن عيسى لا يشبه موسى.

رفض قومه

٤- لقد قبل قوم موسى عليه السلام نبوته في حياته كما قبل العرب نبوة محمد ﷺ في حياته أيضاً، ورغم أن اليهود سببوا الكثير من المصاعب لموسى خلال فترة التيه في الصحراء لكنهم قبلوا به كنبي، كما أن العرب اضطهدوا محمداً ﷺ حتى عانى منهم الكثير خلال ١٣ عاماً من دعوته في مكة قبل أن يضطر للهجرة من مسقط رأسه إلى المدينة، ولكن قبل وفاته كان العرب بأجمعهم قد قبلوه على أنه رسول الله، أما عيسى عليه السلام فقد قال عنه سفر يوحنا (إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله) (يوحنا ١/ ١١) وحتى اليوم بعد ألفي عام من بعثته فإن اليهود كأمة لا يزالون يرفضونه! هل ذلك صحيح؟ قلت للقس، فأجاب نعم، فكررت القول إنه لذلك فإن عيسى لا يشبه موسى ولكن محمداً هو الذي يشبه موسى.

٥- لم يكن كل من موسى ومحمد أنبياء فقط بل كانوا ملوكاً أيضاً بالمعنى المجازي، إن النبي هو الرجل الذي يتلقى الوحي الإلهي لهداية البشر ثم ينقل تلك الهداية والوحي إلى الناس، أما الملك فهو الذي يمتلك سلطة دنيوية لا يعاقب عقوبة الموت على أفراد قومه سواء كان متوجاً أو غير متوج أو متخذاً لقب الملك لنفسه، وقد كان موسى يمتلك هذه السلطة إذ إنه حسب سفر العدد (العدد ١٥/ ٣٦) أمر برجم رجل حتى الموت لأنه وجد يجمع حطباً يوم السبت، وهنالك أمثلة أخرى من هذا القبيل وردت عنه في الكتاب المقدس، وقد تمتع محمد ﷺ أيضاً بهذه السلطة الدنيوية كما هو معلوم.

وفي الكتاب المقدس أمثلة عديدة عن أنبياء تلقوا هبة النبوة فقط دون أن تكون لديهم السلطة الدنيوية لتنفيذ تعاليم بعثتهم ومن هؤلاء الأنبياء: لوط ويونس ودانيال وعزير ويحيى وعيسى عليه السلام، إذ تروي أسفار العهد الجديد عن عيسى -عليه السلام- أنه أحضر أمام الحاكم الروماني (بونتيوس بيلاط) بتهمة التحريض على الفتنة والتمرد على السلطة ولكنه دافع عن نفسه قائلاً (إن مملكتي ليست دنيوية، فلو كانت مملكتي دنيوية لقاتل أصحابي كي لا أسلّم إلى اليهود، ولكن مملكتي الآن ليست دنيوية) (يوحنا ١٨/ ٣٦)، ولذلك اقتنع بيلاط «الوثني» بأن عيسى عليه السلام لا يشكل خطراً على الدولة، لأن عيسى نسب لنفسه ملكاً دينياً فقط وليس دنيوياً، وبعبارة أخرى فقد قال عن نفسه إنه نبي فقط وليس ملكاً. ألا تتفق معي في ذلك سألت القس؟ فأجاب بالإيجاب، فكررت عليه أن هذا وجه آخر للشبه بين محمد وموسى وليس بين عيسى وموسى.

لم يأت بشريعة جديدة

٦- نزل على كل من موسى ومحمد عليهما السلام شرائع جديدة، جاء موسى أولاً إلى بني إسرائيل بالوصايا العشر وبالتوراة مجموعة شاملة من النظم لهدايتهم، ثم جاء محمد إلى قوم مغرقين في البربرية والجهل، كانوا يتزوجون زوجات آبائهم ويئدون بناتهم، وكان الخمر والفسوق والميسر وعبادة الأوثان من العادات اليومية التي طبعت حياتهم حتى أن (جيبون Gibbon) قال في كتابه: «انحطاط وسقوط الامبراطورية الرومانية» إنهم كانوا بهائم على شكل بشر تكاد تخلو من الإحساس ويصعب تمييزها عن جنس الحيوان.

فرفعهم القرآن من حضيض البربرية حتى أصبحوا كما وصفهم توماس كارلايل «حملة مشاعل النور والعلم»، كما لو أن أمة العرب ولدت من جديد وخرجت من الظلام إلى النور، جزيرة العرب نهضت من الموت إلى الحياة، أمة فقيرة من الرعاة الذين يهيمون في الصحاري منذ بدء الخليقة لم يحفل بهم أحد، أصبحوا نبلاء العالم، تحول الصغار إلى عظام وخلال قرن واحد انتشر العرب من غرناطة في الغرب حتى الهند في المشرق وأشرقت جزيرة العرب على بقية أنحاء العالم بنور العبقرية والروعة والشهامة. ذلك أن الوحي الذي نزل على محمد أعطى العرب شريعة ونظاماً لم يعرفوه من قبل قط.

أما عيسى عليه السلام فعندما شكك به قومه واتهموه بأنه دعيّ يريد أن يحرف تعاليمهم فقد بذل قصارى جهده ليؤكد لهم أنه لم يأت بدين جديد، لا تشريع وأنظمة جديدة، فقال لهم (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأنفّذ، وإني حقاً أقول لكم أنه حتى تزول السماء والأرض لن يبقى حرف واحد أو نقطة واحدة من الشرع بدون تنفيذ) (متّى ٥/ ١٧-١٨).

وبكلمات أخرى أنه جاء لتنفيذ الشرع القديم ولم يأت بشرع جديد، هذا ما حاول إفهام اليهود به. كان عيسى عليه السلام يتقيد بالشريعة اليهودية بدقة، فقد احترم تعاليم موسى وتقيد بعطلة السبت ولم يستطع أي يهودي في زمانه أن يتهمه بقوله «لماذا لا تصوم؟ لماذا لا تغسل يديك قبل قطع الخبز؟»، تلك التهم التي طالما وجهوها إلى الحواريين ولكن ليس له إطلاقاً. والسبب أنه كأي يهودي مؤمن احترم شريعة اليهود، وباختصار فهو لم يأت لا بدين جديد ولا تشريعات وقوانين جديدة حسب نص العهد الجديد، أليس ذلك صحيحاً سألت القس؟ فأجاب: نعم، فقلت إذاً هذا وجه آخر للشبه بين محمد وموسى وليس بين عيسى وموسى.

كيف رحلوا؟

٧- توفي كل من موسى ومحمد ﷺ وفاة طبيعية أما عيسى فقد رفعه الله إليه وحسب الاعتقاد المسيحي فإنه قتل على الصليب[١] وهذا وجه آخر للشبه بين موسى ومحمد وليس بين موسى وعيسى، وقد وافقني القس على ذلك.

المقر السماوي

٨- دفن كل من موسى ومحمد ﷺ في هذه الأرض أما عيسى عليه السلام فقد رفع إلى السماء، أليس ذلك صحيحاً؟ فأجاب بالإيجاب، فقلت: وهذا أيضاً وجه آخر للشبه بين موسى ومحمد ﷺ وليس بين موسى وعيسى.

---

(١) لشرح واف عن هذا الموضوع انظر المجلد رقم ٢ تحت عنوان «الصلب: حقيقة أم أسطورة».

obeikandl.com

الفصل الثالث

براهين أخرى

إسماعيل الابن البكر

وبعد أن وافقني القس على كل النقاط السابقة قلت له: حتى الآن بحثنا جانباً واحداً من جوانب النبوءة وهو المتعلق بكلمة (مثلك) أي مثل موسى في النص القائل (أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم، مثلك، وأضع كلامي في فمه، وسوف يقول لهم كل ما آمره به) ولكن للنبوءة جوانب أخرى: لنأخذ مثلاً عبارة (من وسط إخوتهم) فهي تشير إلى موسى وقومه كوحدة عرقية، فمن يكون إخوتهم في هذه الحالة؟ إنهم العرب دون شك، ألا ترى أن الكتاب المقدس يصف إبراهيم عليه السلام بأنه (خليل الله)، لقد كان لإبراهيم زوجتان: هاجر وسارة، أنجبت هاجر ابنه الأول إسماعيل، وقد ورد في سفر التكوين (أطلق إبراهيم[1] على ابنه من سارة اسم إسماعيل) وأيضاً: (فأخذ إبراهيم ابنه إسماعيل) (التكوين ١٧/ ٢٣) وأيضاً: (كان ابنه إسماعيل في الثالثة عشر من عمره عندما ختن) (التكوين ١٧/ ٢٥). حتى السنة الثالثة عشرة من عمر إسماعيل كان هو الابن الوحيد والذرية الوحيدة من إبراهيم عندما تم ختم العهد بين الله وإبراهيم، ثم يهب الله ابناً آخر لإبراهيم، من سارة هذه المرة، دعاه إسحق وكان يصغر أخاه إسماعيل بفارق واضح.

العرب واليهود

وما دام كل من إسماعيل وإسحق أخوان لأب واحد وهو إبراهيم فإن ذرية أي منهما تكون بمثابة الأخوة لذرية الآخر، إن بنو إسرائيل يعقوب بن إسحق، كما أن بني

(١) حسب الكتاب المقدس فإن إبراهيم كان اسمه «أبرام» ثم غيره الله إلى إبراهيم.

إسماعيل هم العـرب، فالعرب واليهود أخوة لبعضـهم البعض بهذا المعنى، وفي ذلك يقول سفر التكوين (وسوف يقطن إسماعيل بحضور كل إخوته) (التكوين ١٦/ ١٢) وأيضاً: (توفي إسمـاعيل بحضور كل اخوته) (التـكوين ٢٥/ ١٨) فأبناء إسحق، هم أخوة أبناء إسماعيل، وبالتالي فإن محـمداً ﷺ يعتبر من إخوة بني إسرائيل بن إسحق، لأنه من سلالة إسـماعيل بن إبراهيم، وهذا مـا قصدته النبوءة تمامـاً بالقول (من وسط إخوتهم) فـالنبوءة تحدد أن النبي الموعـود الذي يشبه مـوسى سوف لن يكون من ذرية بني إسرائـيل ولا من بين ظهرانيـهم ولكن من وسط إخوتهم، مما ينطبق تمـام الانطباق على محمد ﷺ.

أضع كلامي في فمه

ثم تقـول النبوءة (وأضع كـلامي في فمـه) فمـاذا يعني ذلك؟ ألا ترى أنني عندمـا طلبت منك أن تفتح سفر التثنية على الفصل ١٨ وتقرأ الفقرة ١٨ منه فهل كنت أضع كلامي في فـمك؟ فأجاب: لا، فـتابعت قائلاً: ولكن لـو كنت أعلمك لغة لا تعرفـها كالعربية وطلبت منك أن تردد وتقول بعدي ما أقول، مثلاً:

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾ ﴾[1].

ألا أكون بذلك أضع هذه الكلمات الأجـنبية بالنسبة لك في فـمك؟ فوافقني على ذلك، فقلت وهكذا تماماً نطق محمد بكلمات القرآن وحي الله المنزل.

كان مـحمد ﷺ في الأربعين من عمـره عندما نزل عليه الوحي وهو في غـار حراء نحو ثلاثة أميال إلى الشمال من مكة، وكان اليوم السابع والعشرين من رمضان، فأمره

(١) سورة الإخلاص، الآيات ١-٤ .

جبريل عليه السلام بلسان عربي مبين (اقرأ) فأجابه محمد ﷺ وهو في حالة من الرعب والدهشة (ما أنا بقارئ) فيكرر جبريل الأمر ويكرر محمد ﷺ الجواب وفي المرة الثالثة يهزه جبريل ويقول جبريل ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وعندها يستوعب محمد ﷺ أن المطلوب منه هو ترديد ما يسمع من الكلمات التي توضع في فمه:

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[1].

كانت الآيات الخمسة الأولى من سورة العلق من القرآن الكريم أول ما نزل من الوحي على محمد ﷺ.

الشهادة الأمينة

ثم يختفي جبريل ويهرع محمد ﷺ إلى منزله من الذعر، والعرق يتصبب منه فيقول لزوجته خديجة (دثّروني) ويستلقي وزوجته تهدئ من روعه حتى يسترد هدوئه فيقص عليها ما رأى، فتؤكد له ثقتها به وأن الله لن يخذله.. فهل يمكن أن تكون تلك اعترافات مدّع؟ هل يمكن أن يعترف الدعي أنه يصاب بالذعر عندما ينزل عليه ملك من السماء فيتصبب عرقاً ويهرع إلى زوجته في المنزل؟ إن أي ناقد منصف يرى بوضوح أن تلك ردود أفعال واعترافات رجل صادق ومخلص وأمين.

وخلال ٢٣ عاماً من الرسالة السماوية كانت كلمات الوحي توضع في فم محمد ﷺ لينطق بها، ثم تسجل الآيات القرآنية على ورق من أليـاف النخيل وجلود الحيوانات كما تحفظ في قلوب الصحابة المخلصين، ثم ترتب الآيات بالشكل التي هي

---

(١) سورة العلق، الآيات ١-٥ .

عليه اليـوم في القرآن الكريم قبل وفاة النبي ﷺ، مـصداقاً كامـلاً وحرفياً لنبـوءة سفر التثنية (أضع كلامي في فمه) (التثنية ١٨/ ١٨).

النبي الأمي

إنّ نزول الوحي على محـمد ﷺ في غار حراء، الذي عـرف فيما بعـد بجبل النور وحواره مع جبـريل هو أيضاً مصداق حرفي لنبوءة أخـرى وردت في الكتاب المقدس في سفر أشعيا نصها كمـا يلي: (وينزّل الكتاب على الأمي ويقال له اقرأ فيقول إنما أنا أمي) (أشعيا ٢٩/ ١٢) وذلك يطابق تماماً ما قاله مـحمد ﷺ لجبريل مرتين عندما أمره أن يقرأ فأجابه: ما أنا بقارئ، والقرآن الكريم يصف محمداً بأنه ﴿ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ ﴾[١].

ومن المهم جداً أن نلاحظ أن الكتاب المقدس لم يكن له وجود باللغة العربية[٢] في القرن السادس الميلادي وقت البعثة الإسلامية، كما أن محمداً ﷺ كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وكـان خالقـه معلمـه الوحيـد: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴾[٣].

الإنذار الرهيب

ثم قلت للقس: ألا ترى أن النبوءات تنطبق على محمد بحذافيرها دون الحاجة إلى تحميل الـنبوءات فوق ما تحتـمل؟ فأجابني أن كل طروحاتـك تبدو جيدة ولكنهـا غير ذات بال إذ لدينا نحن النصارى إلهاً مجسـداً بشخص عيسى المسيح الذي خلصنا من

---

(١) سورة الأعراف، الآية ١٥٨ .

(٢) أما الآن فقـد ترجموا الكتاب المقـدس إلى ١٥ لهجة من اللهجـات العامية العـربية بالإضافة للفـصحى، انظر «الأسفار بلغات متعددة» بالجزء الأول من المجلد الثاني تحت عنوان «قاموس الكتاب المقدس بالنسبة للمسلم».

(٣) سورة النجم، الآية ٣-٥ .

ربقة الخطيئة، فقلت «غير ذات بال»؟ كيف تقول ذلك والنبوءة تنتهي بإنذار رهيب من الله سبحانه وتعالى إلى الناس الذين يأخذون النبـوءة بهذه الخفة فهي تنص في العبارة التي تلي «وسوف يكون أن كل من لا يستجيب لكلماتي التي سوف يقولها باسمي – النبي الأمي– فسـوف أنتقم منه» (التثنيـة ١٨/ ١٩) وفي النص الكاثوليكي ورد النص (فسوف أكون المنتقم)، ألا ترتعد فرائصك أن الله تعالى يهدد بالانتقام؟

إن هذه معـجزة المعـجزات (كلماتي التي سـوف يقولهـا باسمي) فبـاسم من تكلم محـمد؟ فتـحت القرآن الكريم (ترجـمة العلامـة عبد الله يوسف عـلي) على السورة الأخيـرة منه وهي سورة الـناس وشرحت للقس كـيف أنها تبـدأ بالبسـملة (بسم الله الرحمن الرحـيم) وكذلك تبدأ كل سـورة من سور القرآن الكريم (عدا سـورة التوبة) فما هي البسملة؟ هي قول: بسم الله، أي أن المتكلم يتكلم باسم الله الرحمن الرحيم، وهو التحقق الحـرفي للنبوءة في شخص محمـد ﷺ الذي كان ينقل الوحي المنزّل من الله سبحانه وتعالى.

إن المسلم يبدأ كل عمل شـرعي يقوم به مهما كان صـغيراً أو كبيراً بعبـارة البسملة (بسم الله الـرحـمن الرحـيم) ولكـن النصـراني يقـول: (باسم الأب والابن والروح القدس)!

وهكذا فيما يتعلق بالنص (٨/ ١٨) من سفر التثنية فقد أحصيت خمسة عشر سبباً لانطباق النبوءة على محمد ﷺ وليس على عيسى عليه السلام.

الفصل الرابع

العهد الجديد يؤكد ذلك

يحيى يناقض عيسى عليهما السلام!؟

نلاحظ في العهد الجديد أن اليهود لم يزالوا يتوقعون تحقق نبوءة (النبي المشابه لموسى) انظر سفر يوحنا (١/ ١٩-٢٥). فعندما أعلن عيسى أنه هو المسيح المنتظر الذي كان اليهود يتوقعونه، بدأ اليهود يتساءلون عن النبي الياس وأين هو؟ إذ كان لدى اليهود نبوءة أخرى بأنه قبل مجيء المسيح يلزم أن يظهر النبي الياس أولاً، وقد أكد عيسى هذا الاعتقاد اليهودي بقوله (إن الياس يأتي أولاً ويضع الأمور في نصابها، ولكني أقول لكم إن الياس قد جاء فعلاً ولم يعرفوه.. حينئذ فهم التلاميذ أنه يشير لهم عن يحيى المعمدان) متّى ١٧/ ١١-١٣).

ومن الواضح في العهد الجديد أن اليهود لم يكونوا بالقوم الذين يصدقون بسهولة من يقول إنه المسيح المنتظر، وقد تحملوا مشاق كبيرة بلا جدوى في جهودهم للتحقق من هوية المسيح، ومن ذلك يذكر سفر يوحنا (هذه شهادة يحيى: حين أرسل إليه اليهود وفد الكهنة والكتبة من القدس ليسألوه: من أنت؟ فأقر ولم ينكر، إنني لست المسيح) (يوحنا ١/ ١٩-٢٠) وقد كانت إجابته بديهية، فاليهود كانوا يتوقعون مسيحاً واحداً وليس مسيحين، فإذا كان عيسى هو المسيح فلا يعقل أن يكون يحيى مسيحاً آخر! (فسألوه، إذاً ماذا؟ هل أنت الياس؟ فقال: لست أنا) (يوحنا ١/ ٢١) وهنا يناقض يحيى كلام عيسى فالمفترض أن عيسى قال (يحيى هو الياس) ولكن يحيى ينكر ذلك ويقول (لست الياس)، أي أن أحدهما، لاقدّر الله، يقول غير الصدق، ولا يمكن لأحد أن يتهم يحيى بالكذب لأن عيسى نفسه شهد بأن يحيى كان أعظم أنبياء

اليهود إذ قال عنه (حقاً أقول لكم: لم تلد النساء من هو أعظم من يحيى) (متّى ١١/ ١١).

يحترم المسلمون يحيى عليه السلام ويؤمنون به نبياً صدّيقاً، كما يحترمون عيسى عليه السلام ويؤمنون به كنبي ورسول من أقوى رسل الله كما يؤمنون بأنه المسيح، فكيف يمكن لأي مسلم أن يصدق بأن أحدهما، لا سمح الله يقول غير الحق؟ هذه المعضلة متروكة للنصارى ليجدوا حلاً لها! خاصة أن كتبهم محشوة بالمتناقضات كما يقولون هم أنفسهم[1]. لكن المسلمين مهتمون بالسؤال الثالث الذي وجهه الوفد اليهودي إلى يحيى وهو: (هل أنت ذلك النبي؟ فأجابهم: لا) (يوحنا ١/ ٢١).

ثلاثة أسئلة

فالرجاء ملاحظة أن الوفد اليهودي وجه ثلاثة أسئلة محددة إلى يحيى -عليه السلام- أجاب عليها جميعاً بالنفي وهي باختصار:

١) هل أنت المسيح؟

٢) هل أنت الياس؟

٣) هل أنت ذلك النبي؟

غير أنه لسبب ما فإن رجال الكنيسة لا يرون منها سوى سؤالين اثنين فقط! وللتأكد من أن الوفد اليهودي وجه ثلاثة أسئلة إلى يحيى لنقرأ تتمة النص بعدما

---

(١) أ- انظر مقال مجلة التايم عدد ٣٠ ديسمبر ١٩٧٤ بعنوان: «ما هي مصداقية الكتاب المقدس؟»

ب- المجلة المسيحية المسماة «استيقظ»، مقال بعنوان: خمسين ألف خطأ في الكتاب المقدس.

ج- كتاب الأسفار الخمسة: ماذا قال المسيح حقاً؟ الصادر عن «منتدى عيسى»

The Five Gospels Mcmillan Publishing Co.

أجابهم يحيى بالنفي على أسئلتهم (فقالوا له وسألوه: فما بالك تعمد -الناس-؟ طالما أنك:

١) لست المسيح. ٢) ولست الياس. ٣) ولست ذلك النبي) (يوحنا ١/ ٢٥)

كان اليهود ينتظرون تحقق ثلاثة نبوءات: أولاً: مجيء المسيح، ثانياً: مجيء الياس، وثالثاً: مجيء ذلك النبي.

ذلك النبي

إذا طالعنا هذا الموضوع في بعض نسخ الكتاب المقدس التي تشتمل على ملاحظات نقرأ في الهامش مقابل نص (يوحنا ١/ ٢٥) أن ذلك النبي هو المشار إليه في نص (سفر التثنية ١٨/ ١٨) المشابه لموسى والذي أثبتنا سابقاً بما لا يدع مجالاً للشك أن المقصود به هو محمد وليس عيسى، عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين.

إن المسلمين لا ينكرون بل يؤمنون أن عيسى هو المسيح فعلاً ولا يجادلون في صحة النبوءات التي تحدثت عن قدومه ولكنهم يرون أن نص (سفر التثنية ١٨/ ١٨) يشير بوضوح إلى محمد ﷺ[1].

وقد أنهى القس هذا الموضوع بلباقة متناهية قائلاً: إن المناقشة كانت شيقة جداً وإنه يود أن يدعوني يوماً لمحاضرة مستمعيه عن هذا الموضوع، وها قد مضى حتى الآن عقد ونصف من الزمن وأنا لا أزال بانتظار تلك الدعوة، وأنا لا أشك في أن القس كان وقتئذ مخلصاً في دعوته إياي لإلقاء المحاضرة ولكن التعصب لا يزول بسهولة، ثم أنه من يرغب بخسارة رعيته؟

(١) كما أنه لا يعقل أن يكون عيسى هو المسيح والنبي المنتظر في آن واحد لأن النبوءة تشير إلى شخصين مختلفين (المترجم).

الاختبار المحكّ؟

وإلى أتباع عيسى المسيح عليه السلام أقول لماذا لا تطبقون ذلك الاختبار القاطع الذي كان المسيح يعظ به أتباعه للتحقق من صحة أو زيف أدعياء النبوة، فقد قال لهم (من ثمارهم تعرفونهم، هل يجني المرء من الشوك عنباً؟ ومن الحسك تيناً؟ إن الشجرة الطيبة لا تحمل سوى الثمار الطيبة والشجرة الخبيثة لا تحمل سوى الثمار الخبيثة.. فإذاً من ثمارهم تعرفونهم) (متّى ٧/ ١٦-٢٠).

لماذا تخافون من تطبيق هذه القاعدة على تعاليم محمد؟ إذن القرآن هو -العهد الأخير- وسوف تجدون فيه التحقق الفعلي لتعاليم موسى وعيسى مما سوف يجلب السلام والسعادة إلى العالم. وفي أحد أقوال جورج برنارد شو: «لو أن رجلاً مثل محمد تسلم مقاليد السلطة المطلقة في هذا العالم الحديث لنجح في حل مشاكله وحقق السلام والسعادة التي نحن في أمس الحاجة إليها».

أعظم البشر

نشرت مجلة التايم في عددها الصادر بتاريخ ١٥/ ٧/ ١٩٧٤ مجموعة من آراء بعض المؤرخين والكتاب والعسكريين ورجال الأعمال وغيرهم في موضوع (من هم كبار الزعماء في تاريخ العالم؟) وقد أجاب البعض هتلر أو غاندي أو بوذا أو لنكولن وغيرهم، ولكن المحلل النفسي جول ماسرمان Jules Masserman بدأ بوضع الأسس الصحيحة للحكم الصحيح فقال: يجب أن يحقق الزعيم ثلاث وظائف: أولاً: أن يوفر رفاهة العيش للذين يتزعمهم.. ثانياً: أن يوفر نظاماً اجتماعياً يتمتع فيه الناس بالأمان.. ثالثاً: تزويد الناس بعقيدة واحدة متجانسة.

واستناداً على هذه الأسس استعرض عظماء التاريخ: هتلر، باستور، قيصر، موسى، كونفوشيوس، وغيرهم وفي النهاية استنتج ما يلي:

(إن أشخاصاً مثل باستور وسالك يحققون الشرط الأول وآخرون مثل غاندي وكونفوشيوس والاسكندر وقيصر وهتلر يحققون الشرط الثاني وربما الثالث أما عيسى وبوذا فهم يحققون الشرط الثالث فقط، ولعل أكبر زعماء التاريخ قاطبة هو محمد الذي حقق الشروط الثلاثة المذكورة مجتمعة، وإلى درجة أقل موسى أيضاً).

وبناء على الأسس الموضوعية التي حددها هذا الأستاذ الأمريكي في جامعة شيكاغو (وأعتقد أنه يهودي) فإن عيسى وبوذا ليسا في مضمار الزعامة ولكن بمصادفة غريبة فإنه يرى موسى ومحمداً في مجموعة واحدة مما يضيف برهاناً آخر على نبوءة سفر التثنية (١٨/ ١٨) بخصوص النبي الذي يشبه موسى.

وفي قاموس «كولنز جم للكتاب المقدس» Collins Gem Dictionary of the Bible لمؤلفه القسيس جيمس داو James Dow يقول المؤلف عن موسى (إنه كسياسي وصاحب تشريع يعتبر مؤسس الأمة اليهودية.. إلخ. وإن الشخصية الوحيدة في التاريخ التي تشبه موسى ولو من بعيد هي شخصية محمد) مما يؤيد أيضاً النبوءة المشار إليها عن النبي الذي يشبه موسى.

وأختم هذا الموضوع بكلام المعلق على القاموس المشار إليه أعلاه وهو البروفسور دملو Dummelow إذ يقول: (إن المقياس الأكبر لتعاليم أي نبي حقيقي هو الصفة الأخلاقية لتعاليمه) مما يشبه قول عيسى (من ثمارهم تعرفونهم).

تعالوا إلى كلمة سواء

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

(١) سورة آل عمران، الآية ٦٤ .

لقد شرف الله تعالى اليهود والنصارى في القرآن الكريم بلقب أهل الكتاب، لنزول الوحي على أنبيائهم في التوراة والإنجيل وقد أمر المسلمين في الآية (٦٤) من سورة آل عمران أن يدعوا أهل الكتاب إلى الحوار على قدم المساواة بأن يكون المعبود هو الله تعالى وحده لأنه وحده المستحق للعبادة وليس للسبب المذكور في سفر الخروج (لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضيّ) (سفر الخروج ٢٠/ ٥) بل لأنه الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى.

من ناحية مجردة قد يوافق اليهود والنصارى على النقاط الثلاث المذكورة في الآية (٦٤) من سورة آل عمران ولكنهم في التطبيق يختلفون، فبالإضافة إلى ثغرات أساسية فيما يتعلق بواحدانية الله هنالك أيضاً الكهنوت (كان متوارثاً عند اليهود) وهو يمكّن البابا أو الكاهن من ادعاء فوقيته على البشر بل كونه وسيطاً بين الله والإنسان، في حين أنه لا كهنوت في الإسلام. ويمكن تلخيص عقيدة الإسلام بما ورد في الآية (١٣٦) من سورة البقرة:

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾[1].

إن موقف المسلم واضح بلا غموض، فهو لا يدّعي أنه ينفرد بعقيدة خاصة، والإسلام ليس عصبية ولا طائفية لأن جميع الأديان في نظره واحدة بسبب كون الحقيقة واحدة والوحي واحد من مصدر واحد، قال تعالى ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٦ .

وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ..﴾[1]، فهي الحقيقة التي نزلت بها جميع الكتب السماوية.

إن جوهر الدين أن يستوعب المرء راضياً مشيئة الله وقدره وأن يستسلم للخطة الإلهية بطمأنينة وارتياح، إذ إن أي شيء خلاف ذلك هو بالضرورة مغاير للفطرة البشرية وإذا اتبع المرء ما هو مغاير للفطرة انتهى إلى الضلال بتعمده رفض الهداية الإلهية التي فطر عليها.

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣ .

obeikandl.com